﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٤﴾ [الأحقاف: 34]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من الاستدلال إلى الإنذار بقصد الهداية

لمّا ذكرتِ الآيةُ السّابقة إنكار القرآن على منكري البعث، والاستدلال عليه من الأدلَّة العقليَّة والكونيَّة، وذلك بالاستدلال بقدرته سبحانه على خلق السَّماوات والأرض؛ لأنَّ خلْقَهما وإبداعهما أكبرُ من ردِّ الأرواح إلى الأجساد؛ ناسب بعد ذلك أن ينتقل إلى الإنذار بترهيب الكافرين من النّار، فإنَّ الغاية من سَوْق الكلام هو الاستدلال على البعث بقصدِ الإيمان بالبعث، والإنذار بقصد تخويفهم من عذاب الله تعالى، فاجتمع مقصدان الإيمان بالعبث، والتَّخويف من النّار، وهما يصبّان في نهر الهداية، إذًا هو انتقال من الاستدلال إلى الإنذار بقصد الهداية.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُعۡرَضُ﴾: العَرْضُ: خلافُ الطّولِ، وأصله أن يُقال في الأجسام، ثمَّ يُستعمل في غيرها، كما قال: ﴿فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ٥١﴾ [فصلت: 51]، وعَرَضْتُ العودَ على الإناء، واعتَرَضَ الشَّيءُ في حلقه: وقف فيه بالعَرض، واعتَرَضَ الفرسُ في مشيه، وفيه عُرْضيَّةٌ، أي: اعتراضٌ في مشيه من الصُّعوبة، وعَرَضْتُ الشَّيءَ على البيع، وعلى فلان، ولفلان نحو: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: 31]، ﴿وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأحقاف: 20][1]، وقالوا بأنَّ هذا من القلب، والقلب: أن يَجْري حكم أحد جزأي الكَلام على الآخر،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذوق).

فمعنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾، أي: تعرض النّار عَليهِم[1].

2) ﴿فَذُوقُوا۟﴾: الأصل في (ذوق) اختبار الشيء من جهة الطّعم، فذاقَهُ ذَوْقًا، وذَواقًا، ومَذاقًا، ومَذاقَةً: اختَبَر طَعْمَهُ، وأصله فيما يَقِلُّ تَناولُه، فإنَّ ما يَكثُر مِن ذَلِك يُقالُ له: الأَكْل، وأذَقته أنا إذاقَة[2]، وكُلُّ ما نَزَلَ بإنسانٍ مِنْ مَكْروهٍ فقد ذاقَهُ[3]، قال الرّاغب: "واختير في القرآن لفظ الذَّوق في العذاب؛ لأنَّ ذلك – وإن كان في التَّعارُف للقليل – فهو مستصلَح للكثير، فخصَّه بالذِّكر ليَعُمَّ الأمرين، وكثُر استعمالُه في العذاب، نحو قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنفال: 35]"[4]، فمعنى قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾، أي: تجرَّعوه، وتأَلَّموا به.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تقريرُ المجرمِ يوم القيامة عذابٌ معنويٌّ بين يدي العذاب الحسّيّ

تُبيِّن الآية الكريم بأسلوب الإنذار والتَّخويف من يوم البعث، فتخاطب الكافرين: وتذكَّروا يا منكري البعث يوم القيامة، حين يبعثكم اللّه تعالى، فتُعرضون على صنوف العذاب في النار، وتُدفعون إليها دفعًا، فتُلقَون فيها، ويقول لكم زبانيتُها على سبيل التَّقريع والتَّوبيخ: هذا هو البعث، وذلك هو العذاب الَّذي كنتم تُنكرونه في الدُّنيا، أتُنكرونه اليوم، وقد عاينتموه، وعالجتم إيلامه؟.

فيُجيب منكرو البعث: بلى وربنا، لقد تحقَّقنا اليوم من خطئنا، وتبيَّن لنا ضلالنا، فيجيبهم ملائكة العذاب: إذا اعترفتم على أنفسكم؛ فحقٌّ عليكم أن تتجرَّعوا صنوف العذاب، وتتذوَّقوا الحميم والغسّاق؛ بسبب كفركم باللّه تعالى، وإنكاركم البعث والحساب.

(1) أبو البقاء، الكليات، ص: 704.
(2) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: (ذوق).
(3) الخليل، العين: (ذوق).
(4) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (ذوق).

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ (الواو) ودلالتُها:

الاستئنافُ على معنًى جديدٍ أو العطفُ

تحتمل (الواو) في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أن تكون واو الاستئناف؛ إذ تستأنف خبرًا جديدًا بمصير من لا يجيبون داعي الله تعالى، ولم يؤمنوا به، وينكرون قدرته تعالى على الإحياء والبعث، وتحتمل أن تكون "عاطفة على جملة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾، وأوَّل الجملة المعطوفة قوله: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾؛ لأنَّه مقول فعلِ قولٍ محذوف، تقديره: ويُقال للَّذين كفروا يوم يُعرضون على النّار"[1].

فائدة التَّعبير بلفظ (يوم):

التَّرهيب بأسلوبِ التَّلويح أوقعُ في العقل الصَّريح

المقصود بـ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ يوم القيامة، و"فيه وعيد للكفّار من قريش وسواهم"[2]، والمقصود منه الرَّدعُ والزَّجر عن هذا المذهب والقول[3]، بوساطة ذكرِ الوعيد الشَّديد، بالتَّلويحِ بيوم العرضِ، فجاء (يوم) بهذا النَّظم البديعِ بقصدِ تحذير الكافرين، ووعيدهم بطريق الإيماء والتَّلويح.

بلاغةُ استعمالِ مفردة العرض:

عرضُ الكافرين يوم القيامةِ ترهيبٌ ممزوجٌ بإهانةٍ

مادَّة العرض في جملة: ﴿يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ مصوِّرةٌ ومعبِّرة؛ لأنَّ "العَرض بمعنى الوقوف على الشَّيء، وتَلَقّي ما يترتَّب على هذا الوقوف – على هذا الشَّيء – من خير أو شرٍّ"[4]، فهو "عَرْضُ مباشَرَةٍ، كما تقولون: عرضت الجاني على السَّوط"[5]، وعَرضُ تعذيب "أي: يعذَّبون بها، من قولهم: عُرِض بنو فلان على السَّيف؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 66.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 107.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 12/ 512.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 196.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 107.

إذا قُتِلوا به، وهو مجاز شائع"[1]، وآثر النَّظم الكريم استعمالَها؛ لما فيها من التَّرهيب الممزوج بالإهانةِ، فإنَّ عرْضَ الكافرين يوم القيامةِ هو عرض حسابٍ بقصد العقاب.

دلالةُ بناء فعل ﴿يُعْرَضُ﴾ للمفعول:

الإذلالُ والإهانةُ سمةٌ لازمةٌ لأهل النّار

بُني فعلُ ﴿يُعْرَضُ﴾ للمفعول للعلم بالفاعل وتَعَيُّنه؛ إذ ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: 19]، حتّى وإن قام ملائكة العذاب بذلك العرض مباشرةً، فالآمر والنّاهي هو الله تعالى، وإلى ذلك ففي بناء فعل ﴿يُعْرَضُ﴾ لما لم يُسمَّ فاعلُه إيحاءٌ بأنَّ الكفّار منكري البعث يكونون يومئذٍ عُرْضةً لكلِّ أحد يتأتّى منه عَرْضَهم على النّار من الملائكة وغيرهم ممّا يعلمُ الله تعالى؛ إذلالًا وإهانةً وتعذيبًا نفسيًّا لا يُتصوَّر، ففي تلك الصّيغة إفادة العموم المبهم تفصيلًا، المعلوم إجمالًا، بأنَّ الآمر هو الله تعالى، مع ما فيه من إشارةٍ إلى استلاب تكبُّرهم وتأبّيهم على العذاب عقابًا؛ لتكبُّرهم في الدُّنيا على الإيمان.

غرضُ التَّعبيرِ بالفعل المضارع ﴿يُعْرَضُ﴾:

تصويرُ عَرْضِ الكفّار على النّار

في صوغ الفعل ﴿يُعْرَضُ﴾ مضارعًا استحضارٌ لتلك الصّورة المريعة أمام أذهان الكفّار منكري البعث، كأنَّها ماثلة أمام أعينهم هنا في الدُّنيا، وكأنَّها تحدُث وقت إلقاء هذا الخبر عليهم؛ علمًا بأنَّها إنَّما ستحدث في الآخرة، وفي ذلك الاستحضار مزيد ترهيب يحمل على التَّوبة والإسراع إلى الإيمان قبل فوات الأوان، وبالإضافة إلى تصوير ذلك المشهد، ففيها عنصر تجديد عرض الكافرين، كلَّما عُرِضَ فوجٌ؛ جاء آخر.

علَّةُ التَّعبيرِ بالموصول:

الاستشهادُ على المعذَّبين بكفرِهم الَّذي أوردهم النّار

آثر النَّظم الكريم التَّعبير بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ للاستشهادِ عليهم بما في حيِّز الصِّلة،

(1) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 179.

فعرضُ الَّذين كفروا يوم القيامة بقصدِ الحساب والعقاب، إنَّما كان بسبب كفرِهم، والاسم الموصول بهذا الاعتبارِ يهيّئ لما لا يهيِّئ له الاسم الصَّريح، كما يهيِّئ لدلالة الماضي في الصِّلة ﴿كَفَرُواْ﴾، فهذا الصِّنف لن يُعرض إلّا على ما يلائمه، ويكافئ كُفره، وما على ذلك من إشارات ينهض بها، ويهيِّئ لها الموصول.

دلالةُ التَّعبيرِ بالكفر دون الشِّرك:

مـدارُ السّياقِ على إنكار البعث، وهو أبرز عناوين الكفر

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبير بمفردة الكفر في جملة الصِّلة ﴿كَفَرُواْ﴾ دون الشِّرك؛ وذلك لمناسَبَة السّياق؛ إذ توجَّه السياق لمناقشة منكري البعث وإحياء الموتى للحساب، وهذا أبرز عناوين الكفرِ، وهؤلاء الكفرة وإن كانوا مشركين إلّا أنَّ السّياقَ برز فيه الكفر أكثر من الشِّرك، فكان لفظُ الكفر هو الأنسب، ولا يمنع من دخول سائر أصناف الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله ممّا طلب القرآن الإيمان بها، فيدخل الكفر بالبعث دخولًا أوَّليًّا، وسائر أصناف الكفر دخولًا عموميًّا.

بلاغةُ حرف الاستعلاء:

الكافرُ معروضٌ على النّارِ كعرضِ الشّواء

دلَّ حرف الاستعلاءِ في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ على الإهانةِ والإذلالِ، بتنزيل الَّذين كفروا منزلةَ اللَّحم المعروض على النّار، فهُم "يَصلَونَ لَهيبَها، ويُقَلَّبونَ فيها، كَما يُعرَضُ اللَّحمُ الَّذي يُشوى"[1]، فهُم في أعلى النّارِ على الحقيقةِ، ولكنَّهُ استعلاءُ المعذَّبينَ المصلوبينَ المصطلين لا استعلاء المكرَّمينَ، وهذا من بديعِ الاستعمالِ، أن يُجعلَ المعذَّب فوقَ المعذَّب فيه؛ ليزداد عذابًا، ففيه عذابُ الحسِّ والكرامةِ.

معنى (أل) في ﴿ٱلنَّارِ﴾:

عرَّفَ النَّظمُ الكريمُ لفظَ ﴿ٱلنَّارِ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 159.

التَّذكيرُ بعذابِ النّارِ من شأنه تنبيهُ الغافلينَ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ باللّام، واللّامُ هَهُنا للعهدِ الذِّهنيِّ، أي: النّارُ المعهودَةُ الَّتي سبقَ الحديثُ عنها مرارًا في القرآنِ الكريم، وكذلكَ ففي ذكرِ النّارِ معرَّفَةً تنبيهٌ للغافلينَ، وهي الَّتي تواردت أخبارها وأوصافها في الوحيين الشَّريفين، وعُرِفت بتنوُّع أوديتها وصنوف عذابها، فإذا جاء ذكرها في القرآن الكريم؛ بادرت الأذهان إلى استحضارها وتصوُّرها.

موقعُ جملة: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾:

تقع جملة: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ مقولًا لقول مضمَر؛ حيث يقال لهم ذلك القول عند العرض على النّار تبكيتًا وتقريعًا وتوبيخًا، "وهذا المضمر هو ناصب الظَّرف (يوم)"[1].

غرضُ الاستفهام وبلاغته:

عـذابُ الكـفّار يـجـمـعُ بـين الحسّيِّ والمعنويِّ قهرًا وإذلالًا

الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ استفهام تقريريٌّ بالنَّفي؛ "ليعترفوا بالَّذي كانوا ينكرون في الدُّنيا؛ لأنَّهم كانوا ينكرون في الدُّنيا الرُّسل والآيات، وكانوا ينكرون كون البعث وعذابه"[2]، فيُقِرّوا بنفي النَّفي في (ليس)، فيُثبتوا الحكم بالحقِّ؛ لهذا المُشار إليه الماثل أمام أعينهم مِن أسباب العذاب ومظاهره، ومن أغراض هذا السُّؤال "التَّهكُّمُ بهم، والتَّوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده، وقولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩﴾ [الصافات: 59]"[3]، كذلك هو "سؤالُ تأنيب، وتقريع، وإيلام للمشركين المكذِّبين بيوم الدّين، وبما أنذروا به من عذاب الله في هذا اليوم، أليس هذا العذاب بالحقِّ؟ إنَّكم لم تظلموا شيئًا، فهذا جزاء ما عملتم"[4]، وفيه "تنديمٌ على ما كانوا يزعمون أنَّ الجزاء باطلٌ وكذب، وقالوا: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٥٩﴾ [الصافات: 59]"[5].

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 313.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 9/ 259.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 313.
(4) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/ 299.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 66.

دلالةُ التَّعبيرِ بإشارة القريب ﴿هَٰذَا﴾:

من أهـوال القيامةِ الإشارةُ إلى العـذاب؛ لتقع المشاهدة عيانًا

يعود اسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ إلى "العذاب؛ بدليل قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾"[1]، وفي إيثار التَّعبير بإشارة القريب ﴿هَٰذَا﴾ دليلٌ على قُرب العذاب من أن يأخذهم أخذًا، ودليل على قُربهم هم منه قُربًا مرعبًا، وقد عُرضوا على سببه المادّي الحسّيِّ القريب، وهي ﴿ٱلنَّارِ﴾.

"وفي الاكتفاء بمجرَّد الإشارة مِن التَّهويل للمشار إليه، والتَّفخيم لشأنه ما لا يخفى، كأنَّه أمرٌ لا يمكن التَّعبير عنه بلفظٍ يدلُّ عليه"[2].

وقيل: إنَّ الإشارة في قوله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۗ﴾ إلى إحياء الموتى يوم القيامة، أي: "أليس هذا الإحياءُ إحياءً بالحَقِّ"[3].

نوعُ (الباء) ودلالتها:

دلالـةُ التَّوكيد تُصاحب الحقَّ بعد ظهوره

(الباء) في قوله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۗ﴾ للتَّوكيد، فهي تقرِّر المعنى، وتحقِّق الغرض، فصارت من حيثُ المعنى مثل الرُّكن الرَّكين من الجملة، وكأنَّ المعنى هنا: أليس هذا العذاب منوطًا ومتعلِّقًا بالحقِّ الَّذي ضيَّعتموه؟.

معنى تعريف لفظِ (الحق):

الـحـقُّ الَّـذي أنكره المشركون في الدُّنيا ماثلٌ في الآخرة

(أل) في لفظ (الحق) للعهد الذِّهنيِّ؛ إذ تأخذ بالأذهان إلى (الحق) الَّذي أنكروه من البعث، وقدرته تعالى على الإحياء والحساب، وتنعيم المؤمنين وتعذيب الكافرين، وكانوا يكذِّبون بكلِّ ذلك، فهو هنا (الحق) المعيَّن إثباته، لا (الحق) المطلق الَّذي يدلُّ على الجنس، وتنضوي تحته كلُّ صور الهدى والصَّواب، وتَستمِد كلُّ فتائل الهُدى أنوارها من مشكاته، هذا ما يدلُّ عليه السّياق، ويحتمل

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 313.
(2) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 32.
(3) القاسمي، محاسن التأويل: 8/ 461.

العموم، فيدخل فيه معنى الجنس؛ لتنزيلهم منزلةَ من أنكر الحقَّ كلَّه، وهذا أشدُّ في العقاب.

علَّةُ فصل جملة ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾:

فُصلت جملة: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ عن جملة: ﴿أَلَيۡسَ هَٰذَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾؛ لوقوعها استئنافًا بيانيًّا على عادة أسلوب المقاولة في القرآن الكريم.

معنى ﴿بَلَىٰ﴾ ودلالتها:

إدانـــةُ الـكـافـر لنفسه إرضـاخٌ لها

﴿بَلَىٰ﴾ حرف جواب للنَّفي؛ إذ ينفي النَّفي الَّذي يرد في السُّؤال، فهو هنا يقرِّر إثبات كون المشار إليه حقًّا، و"هو إقرار منهم يُدينون به أنفسهم، وبأنَّ هذا العذاب الواقع بهم هو من صُنْع أنفسهم، وبِما كسبت أيديهم"[1]، و"عن الحسن أنَّه قال: إنَّهم لَيُعَذَّبون في النّار، وهم راضون بذلك لأنفسهم يعترفون أنَّه العدل"[2].

بلاغةُ القسم وغرضه:

الـكـنـايـةُ عن شديد الحسرة والنَّدامة بقصد الاستجداء

القسم في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ يُراد به توكيد معنى الحقِّ في أنفس المتكلِّمين، فهُم يُؤكِّدون ذلك لأنفسِهم بأسلوب القسم، وهو كناية عن شدَّة النَّدامة والحسرة؛ إذ يأتي القسم برهانًا على الإيمانِ، بعد فوات الأوان؛ ليدلَّ المتكلِّم على شديد ندمه، فهو توكيد الحسرة والنَّدامة بغرض الاستجداء، فهُم "اعترفوا حين لا ينفعهم الاعتراف، وأكَّدوا هذا الاعتراف بالقسم؛ لأنَّ المشاهدة هي حقُّ اليقين الَّذي لا يمكن جَحْدُه ولا إنكاره"[3]، و"لأنَّهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بِحَقّيَّةِ ما هم فيه"[4]، وأنّى لهم ذلك؟.

وقيل في تأويل قولهم: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾: إنَّه نداء لا استفهام، أي:

(1) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/ 299.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 5/ 107.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 32.
(4) خان، فتح البيان في مقاصد القرآن: 13/ 40.

"بلى يا ربَّنا، إنَّ هذا العذاب حقٌّ، وإنكارنا له في الدُّنيا إنَّما كان عن جهل وغفلةٍ وغرور منّا"[1].

نكتةُ القسم بعنوان الرُّبوبيَّة:

تـحـنُّنُ الـكـافـرِ يوم القيامةِ إنَّما يـكـون بـالـمـنـاداةِ عـلـى الـخـالـق الربّي

في قَسَم الكفّار في الآخرة بعنوان الرُّبوبيَّة: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ إقرارٌ لله تعالى بالرُّبوبيَّة؛ ففيه ضمنًا اعتراف منهم له ﷻ بالألوهيَّة؛ إذ إنَّ ولاء العبد إنَّما يكون لِسيِّده الَّذي يطعمه، ويسقيه، ويُرَبّيه؛ لذا تفوح من هذا القَسَم دلالةُ الاستعطاف، والتَّندُّم على إنكارهم ربوبيَّتَه ﷻ أيّام أن كانوا في الدُّنيا، و"التَّغليظ لأنفسهم، وجعلوا المقسم به عنوان الرَّبِّ تَحَنُّنًا وتَخَضُّعًا"[2]، كما يوحي قسمُهم بعنوان الرُّبوبيَّة بأنَّ الجوانب الحسّيَّة والمنافع المنوطة بجوانب التَّربية والعطاء تطغى عليهم.

دلالة الإضافة في ﴿وَرَبِّنَا﴾:

في إضافة لفظ (رب) إلى الضَّمير في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ كثير تذلُّل، ومحاولة تدارُك الإيمان النّافع، لكن هيهات لهم ذلك!

علَّةُ فصل جملة: ﴿قَالَ فَذُوقُوا﴾:

فُصِلت جملة: ﴿قَالَ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ﴾ عن جملة: ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ للاستئناف البيانيِّ؛ جريًا على حكاية المحاورات، فهي جواب لقولهم: ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾.

بلاغةُ الفاء الفصيحة:

المـطـويُّ لفظُه مـلـمـوحٌ معناه من النَّظم

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ﴾ هي الفاء الفصيحة؛ إذ تُفصح عن محذوف، تقديره: "إذا كان الأمر كذلك؛ فذوقوا العذاب؛ بسبب ما كنتم تكفرون"[3]، و"تذوقوا طعمه الأليم، ووقعه

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 209.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 66.
(3) حجازي، التفسير الواضح: 3/ 454.

المهين"[1]، وفي هذا الحذف تعجيلٌ على ما فيه مساءتُهم، وتركيزٌ على الأمر المُهين: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾، والعياذ بالله تعالى.

بلاغةُ استعمالِ مفردة ﴿فَذُوقُواْ﴾:

التَّهويل الشَّديد، فالذَّوق مبدأ الطَّعام، وما يرونه مبدأ العذاب

الإذاقةُ إحساسُ اللِّسان بأحوال الطُّعوم[2]، والتَّعبير بها في جملة: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ "تمثيلٌ لإدراك آثاره الأليمة، والإحساس بها إحساسًا لا شكَّ فيه"[3]، فهي هنا مستعارة للإحساس بالألم والأذى إحساسًا مكينًا كتمكُّن ذوق الطَّعام من فم ذائقه تمكُّنًا لا يجد له مدفعًا[4]، فهي استعارة تصريحيَّة تبعيَّة؛ إذ شبَّه الإحساس بالألم المكين بالذَّوق، ونكتة الاستعارة التَّهويل الشَّديد، فإنَّ الذَّوق هو مبدأ الطَّعام، وما يرونه من العذاب هو مبدأ العقاب.

غرضُ الأمر بذوق العذاب:

توبيخُ الكفّار والتَّهكُّم بهم

الأمر في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ يحتمل أن يكون جاريًا على الأصل من الاستعلاء والإلزام والقهر؛ إذ المقام لقهرهم وإذلالهم ومعاقبتهم بكفرهم، ويحتمل أن يكون "مستعملًا في الإهانة"[5]، والتَّبكيت والخذلان، والتَّقريع بما كانوا ينكرونه، وفيه "توبيخ بالغٌ وتهكُّمٌ عظيم"[6].

دلالةُ التَّعبيرِ بالعذاب دون العقاب:

العقابُ يأتي عقب الذَّنب، والعذاب أعمُّ

استعمل النَّظم الكريم مفردة العذاب دون العقاب في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾، وذلك أنَّ العذاب هو الإيجاعُ الشَّديد، وأصل التَّعذيبِ إكثارُ الضَّرب بِعَذَبَةِ السَّوطِ، أي: طرفها، ومن التَّعْذيبِ

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 13/ 209.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 306.
(3) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 9/ 940.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 306.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 66.
(6) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 32.

الضَّربُ[1]، وإذا كان العقاب قد سُمّي عقابًا؛ لأنَّ الفاعل يستحقُّه عَقيب فِعْله"[2]، فإنَّ التَّعبير بالـ (عذاب) هنا أدقُّ وأحكمُ؛ لأنَّ عذاب الكُفر غالبًا لا يُعجَّل به في الدُّنيا، وإنَّما يُؤجَّل لأهله في الآخرة.

معنى تعريف لفظ ﴿ٱلْعَذَابَ﴾:

عذابُ الكافرين مُـنَـوَّعٌ في صنوفه، بالغٌ في بابه

تعريف ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ في جملة: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ يضفي عليه من الخطورة ما يجعله محذورًا، فهو ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ البالغ في بابه مبلغًا لا تُتصوَّر حقيقته، وفي (أل) هذه معنى الجنس، أي: فذوقوا جميع صنوف العذاب المعدَّة لكم في الآخرة، ممّا لا يمكن لأحد في الدُّنيا تصوُّره من الحميم، والغسّاق، وشجر الزقّوم، والحيّات، والعقارب، وغيرها ممّا لا يُحاط بخطره وفظاعته.

نوع (الباء) ودلالتها:

(الباء) في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ سببيَّة، أي: ذوقوا العذاب بسبب ما كنتم تكفرون، فمَن دخل النّار، فيدخلها بعدله.

دلالةُ استعمالِ (ما):

الكفرُ أشدُّ الذُّنوب، وهو يَذهب بذهاب الدُّنيا، ويبقى عقابه

(ما) في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ مصدريَّة، أي: فذوقوا العذاب؛ "بسبب كفركم بهذا في الدُّنيا، وإنكاركم له"[3]، وفي إيثار (ما) مع فعلها ﴿كُنتُمْ﴾ على المصدر (كفركم) تهويلٌ للكُفر، وإتاحةٌ لدلالات جملة ﴿كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ من ذِكر فعل الكينونة، وصوغه ماضيًا دالًّا على ذهاب المعصية وبقاء ذنبها، واستحضارِ فعل الكفر بصيغة المضارعة في ﴿تَكْفُرُونَ﴾.

لطيفةُ حذف متعلّق فعل ﴿تَكْفُرُونَ﴾:

حُذِف متعلِّق فعل الكفر في جملة: ﴿تَكْفُرُونَ﴾؛ إفادةً لعموم ما

(1) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (عذب).
(2) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 364.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 32.

متعلِّقات الكفر عديدة، منها الكفر بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله

سبقت معالجتُه في السّورة الكريمة وغيرها، من الكفر باللّه تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، ومن متعلِّقات الكفر إنكار قدرته تعالى على البعث وإحياء الموتى للحساب، والكفر بنعيم الآخرة وعذابها، فهذا يدخل دخولًا أوَّليًّا، ويتبعه سائر متعلِّقات فعل الكفر.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"